القواعد الأربع

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧ \ ١٤٣٦ هـ.

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

https://www.facebook.com/ahmedbazmoo?ref=hl
/http://www.ahmedbazmool.com

الدرس الثالث من شرح القواعد الأربع

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ لِلّهِ ، نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَلَا وإِنَّ أَصْدَقَ الكلامِ كلامُ اللهِ ، وَخَيْرَ الهُدى هُدى مُحَمَّد ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَة ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فلازال الحديث موصولًا بدراسة وتدارس القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب –رحمه الله تعالى - .

وكان قد قرر فيما قد سبق ما يتعلق ببيان التّوحيد وبيان الحنيفيّة وهي أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين ثم بيـّن -رحمه الله تعالى - ما يتعلق – مايتعلق - بخطورة الشّرك وأن الشرك يحبط العبادة وأن العبادة لا تُسمى عبادةً إلا مع التّوحيد كما أن الصلاة لا تُسمى صلاةً إلا مع الطهارة ، وأنه كما يُفسد الحدث الطهارة والصّلاة كذلك يفسد الشرك العمل .

ثم بيـَّن أيضًا أن الشرك شبكة خطيرة على العبد أن يتخلّص منها وأن يعرف حبائل وطرق الشرك ليجتنبه وذلك لأن الشرك محبط للعمل وصاحبه خالد مخلد في النار .

قال الشيخ –رحمه الله تعالى – " وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ عز وجل ذكرها الله تَعَالَى فِي كِتَابِهِ " يعني -رحمه الله تعالى - أن التخلص من الشرك والتخلص من البدع والضّلالات والتخلص من الباطل لابد أن يكون عن طريق الوحي الشرعي ، فالتخلص من الشرك بمعرفة أربع قواعد مذكورة في كتاب الله – عزّ وجلّ - ، يعني أن الشيخ -رحمه الله تعالى – لم يأتِ بها من تلقاء نفسه ولم يخترعها بل هو متّبع لنصوص الكتاب والسنّة وما كان عليه سلف هذه الأمة .
وهذه الأربع قواعد إذا تعلمها العبد وعرفها المعرفة الصحيحة فإنه - إن شاء الله - ينتفع بها في التخلص من الشرك .

وقوله –رحمه الله تعالى – " بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ " يعني أربع أصول من القرآن العظيم .

قال –رحمه الله تعالى – [الْقَاعِدَةُ الأُولَى] :

القاعدة الأولى : أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ – مقرون بأن الله - تعَالَى - هُوَ الْخَالِقُ ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلَهُمْ فِي الإِسْلامِ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ

الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ 1).

هذه القاعدة الأولى التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب .

وخلاصة هذه القاعدة : أن إقرار المشركين بتوحيد الرّبوبيّة لم يُدخلهم في الإسلام لأنهم لم يأتوا بتوحيد الألوهيّة .

خلاصة هذه القاعدة أن إقرار واعتراف المشركين بتوحيد الربوبية بأن الله هو الرب هو الخالق هو الرازق لم يدخلهم في الإسلام .

- لمـــــــاذا ؟

- لأنهم لم يأتوا بتوحيد الألوهيّة ، بمعنى لم يُفردوا العبادة لله - عزّ وجلّ -

قال وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ ﴾ (2).

- يعني هؤلاء المشركون لو سُئلوا مَن الذي رزقهم ؟

- ومن الذي يملك السمع والأبصار ؟

- ومَن الذي أخرج الحي من الميت وأخرج الميت من الحي ؟

- ومَن الذي يدبر الأمر ؟

- سيقولون الله - سيقولون الله - فهم إذًا مقرّون ومعترفون بأن الله - عزّ وجلّ - بيده هذه الأمور كلها ؛ فإذًا إذَا كنتم تقرّون بذلك فالواجب عليكم أن تصرفوا جميع أنواع العبادة لله .

---

(1) [يونس: 31]
(2) [يونس: 31]

﴿ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ أي : كيف تشركون بالله – عزّ وجلّ - الذي تقرون أنه بيده هذه الأمور كلها !!

فالواجب عليكم ، توحيد الرّبوبيّة يستلزم توحيد الألوهيّة لأن الخالق ، الرازق ، المدبّر للأمر - سبحانه وتعالى - هو المستحق - هو المستحق - لأن تكون جميع العبادات مصروفة له - سبحانه وتعالى - ، ولا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادات من دعاء أو ذبح أو طواف أو توكل أو غير ذلك لغير الله - عزّ وجلّ - لأن صرفها لغير الله هي صرفها للمخلوق .

والخالق - سبحانه وتعالى - هو الذي يستحق جميع - جميع - أنواع العبادات لذلك قال لقمان لابنه ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(3)

- هذه القاعدة مهمة .

- لمـــــاذا ؟

- لأن بعض الناس - بعض الناس - لـمَّا تنكر عليه ما يقع فيه من شرك من ذبح لغير الله ، أو دعاء لغير الله ، أو نذر لغير الله ، يقول لك يا أخي أنا أنا أقول الله هو الخالق الزارق المدبّر وأعتقد أن الأمور كلها بيد الله وأن الله - عزّ وجلّ - بيده الأمور كلها و و و إلى آخره فأنا لست مشركا !

فالشيخ يقول لنا ويعلمنا : اعلموا أن المشركين الأولين كانوا يقرّون بتوحيد الرّبوبيّة فلم ينفعهم ذلك .

---

(3) [لقمان:13] .

هذه القاعدة الأولى .

[القاعدة الثانية] :

ذكرها بقوله : أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّهِ زُلْفَى إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾(4) وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾(5)

القاعدة الثانية : خلاصتها كما ذكر الشيخ محمد أمان الجامي -رحمه الله تعالى - في شرحه للقواعد الأربعة قال : (مُلخّصها أن عبادة المشركين لآلهتهم كانت من قبيل الوساطة والشفاعة ، لا لأن آلهتهم تخلق أو ترزق أو تضرّ أو تنفع) .

إذًا ملخص هذه القاعدة أن عبادة المشركين لآلهتهم كانت من قبيل الوساطة والشفاعة لا لأن آلهتهم تخلق أو ترزق أو تضرّ أو تنفع .

الشيخ –رحمه الله تعالى - محمد بن عبد الوهّاب يقول : " إِنَّهُمْ يَقُولُونَ " أي المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيات والذين دعاهم النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - للتّوحيد لأنهم لم يحققوا توحيد الألوهيّة ، قالوا : " مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ " يعني هؤلاء المشركون الذين عبدوا الأصنام والذين عبدوا

---

(4) الزمر: 3] .
(5) يونس:18]

ما عبدوا من دون الله – عزّ وجلّ – يقولون نحن ما توجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة فليسوا هم مقصودين بالعبادة وإنما هم يقربونا إلى الله – عزّ وجلّ - هذه القربة والشفاعة ؛ أي اتخذناهم وسطاء وشفعاء بيننا وبين الله - عز وجل -

قال الشيخ –رحمه الله تعالى - فدليل القربة : أي دليل زعم المشركين أنهم اتخذوا هذه الأصنام وهذه الآلهة لتقربهم من الله ، قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾(6) تأملوا بارك الله فيكم قوله – عز وجل - :

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ - أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني ليست آلهة هم يعرفون أنهم أولياء ، من ملك من الملائكة أو رسول أو نبي أو رجل صالح ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ أي ما نتوجه إليهم وما ندعوهم إلا لطلب القربى عند الله -عز وجل -

وتأملوا أنهم يعترفون أنهم عبدوا هذه الأصنام ، ولكن هم يقولون لا نعبدها لذاتها ولكن نعبدها لتقربنا إلى الله - عز وجل - فقال :

﴿ مَا نَعْبُدُهُم ﴾ أي ما نتوجه لدعائهم ولطلب الشفاعة منهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يعني الله - عز وجل - يوم القيامة سيبين لهم وسيعاقبهم على شركهم به - سبحانه وتعالى - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ فهاتان صفتان لهؤلاء :

أولًا : أنهم كذبة ، فهم عبدوا هذه الأصنام وهم توجهوا لها من دون

---

(6) [الزمر 3]

الله ، وأعطوها من الصفات ومن الأمور ما لا يعطون لله - عز وجل - وهم كفار

لأنهم أشركوا بالله -عز وجل- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّار ﴾ هذا دليل القربة .

وأما دليل الشفاعة ، قوله تعالى : ﴿ ويَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ الله ﴾ فهنا الله - عز وجل - وصف عبادتهم وطلب الشفاعة من هذه الأصنام ، أو من تلك المعبودات والآلهة بأنها عبادة ، ﴿ويَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ ﴾ يعني ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ، لأنهم إن كانوا أحجارا - فماذا يفعلون ؟!

- وإن كانوا أمواتا فلا شيء في أيديهم ؛ بل لا يستطيعون نفع أنفسهم ، ولا ضر أنفسهم ، قال : ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ الله ﴾ يفترون على الله الكذب ؛ يزعمون أن هذه الآلهة يعبدونها من دون الله - عز وجل - لتشفع لهم عند الله - عز وجل - .

إذًا فالقاعدة الثانية ؛ عبادة المشركين لآلهتهم كانت من قبيل الوساطة والشفاعة ، لأن بعض الناس قد تنكر عليه دعاء غير الله ، من السيد الفلاني ، أو الحسين أو علي ، أو الولي الفلاني ، فيقول لك يا أخي أنا ما أعبده أنا جعلتهم قربة بيني وبين الله ، أو جعلتهم وساطة بيني وبين الله .

فنقول : بل هي عبادة فإن الله - عز وجل - قد وصف فعلهم بأنه عبادة ﴿ويَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ الله ﴾ ثم أيضًا نقول لهؤلاء الذين يتخذون هؤلاء الأولياء

آلهة من دون الله ، نقول لهم هذا عين قول المشركين : أنهم اتخذوا هذه الآلهة ليقربوهم إلى الله زلفى وأنهم وسطاء وشفعاء من دون الله ؛ فإذًا ينبغي علينا أن نتنبه لهذه الشبهة ، التي نشرها وينشرها هؤلاء الذين يدعون الناس إلى الشرك .

قال الشيخ -رحمه الله تعالى - : والشفاعة شفاعتان ، شفاعة منفية وشفاعة مثبتة ، هؤلاء يزعمون أن هذه الآلهة تشفع لهم ، فالشيخ - رحمه الله تعالى - بين أن الشفاعة جاءت في الأدلة الشرعية على نوعين : شفاعة منفية وشفاعة مثبتة .

- ما هي الشفاعة المنفية ؟

- قال فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله والدليل قوله تعالى :﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ فنفى الله - عز وجل - الشفاعة في قوله ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ﴾ فهذه الشفاعة المنفية .

- وما معنى كونها منفية ؟

- يعني أنها غير مقبولة ولا يُعمَل بها ، بل هي باطلة ، والله قد نفاها " ولا شفاعة " ، فالذين يطلبون من السيد الفلاني أو الصالح الفلاني أو الولي الفلاني أن يشفع لهم فهذه شفاعة منفية وهي التي تُطلَب من غير الله وإنما الشفاعة تطلب من الله - عز وجل - ولذلك بينها - رحمه الله تعالى - بقوله .

والشفاعة المثبتة ؛ ومعنى المثبتة يعني الشفاعة التي جاء بها الشرع ، وذكرها الشرع وأنها يُعمل بها .

- ما هي الشفاعة ؟

- قال هي التي تطلب من الله ، قال : والشافع مكرم بالشفاعة ؛ يعني أن الله - عز وجل - إذا أذن للشافع يوم القيامة أن يشفع فهذا من باب الكرامة ومن باب الإكرام ومن باب الإحسان والإنعام .

قال : والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن ، كما قال تعالى : ﴿ مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ إذًا الشفاعة المثبتة لابد فيها من شروط

- الشرط الأول : أن تطلب من الله - عز وجل - فلا تطلب من فلان ولا فلان ، إنما تطلب من الله - عز وجل - .
- الشرط الثاني : الرضا عن الشافع فإذا كان الشافع مثلًا كافرًا أو كان الشافع منافقًا فإنه لا تقبل شفاعته ، وليس له الشفاعة فهو داخل في الشفاعة المنفية .

فلابد أن يكون الشافع ممن يكرمه الله - عز وجل - بالشفاعة ، وهم أهل الإسلام والإيمان ، وأيضا هذا الشرط الثاني .

- الشرط الثالث: الرضا عن المشفوع له ، بأن يكون مات على الإسلام ومات على التوحيد ، فإن الكافر أو المنافق هؤلاء لا يشفع لهم لأن هؤلاء قد غضب الله عليهم .

فهذه الشفاعة المثبتة التي تطلب من الله وأن يكون الشافع والمشفوع له قد رضي الله - عز وجل - عنهما .

لذلك هؤلاء حين يزعمون أن الشفاعة تطلب من هؤلاء الأولياء إنما يزعمون باطلًا من القول ، لأن هذه الشفاعة هي الشفاعة المنفية .

قال ابن القيم الجوزية -رحمه الله تعالى - : لا شفاعة إلا بإذنه ؛ أي - بإذن الله تعالى - ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

فإذًا هذه هي الشفاعة المثبتة ؛ وأهل السنة يثبتون الشفاعة وأنها أنواع ، فالشفاعة العظمى تكون للرسول - صلى الله عليه وسلم - في أرض المحشر ، حين يذهب الناس إلى الأنبياء ثم ينتهون إلى النبي محمد -صلى الله عليه وسلم -

فيقول : أنا لها أنا لها فيذهب ويسجد فيُفتح عليه من محامد الله والثناء عليه وشكره ثم يقال له : ارفع رأسك واسأل تعط واشفع تشفع .

ثم شفاعة الملائكة وشفاعة الصالحين وشفاعة أهل الجنة لبعض أهل الجنة في علو منزلتهم إلى آخره من أنواع الشفاعات .

وقد أنكر الشفاعة لأهل الكبائر أنكرها المعتزلة والخوارج لأنهم يُكفِّرون أهل الكبائر ، والصحيح أن أهل الكبائر تحت المشيئة وأن الشفاعة ثابتة لهم إن رضي الله - سبحانه تعالى - ؛ بالشروط السابقة .

فإذًا خلاصة هذه القاعدة كما سبق أن عبادة المشركين لآلهتهم كانت من قبيل الوساطة والشفاعة لا لأن آلهتهم تخلق أو ترزق أو تضر أو تنفع .

القاعدة الثالثة :

أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِم ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ .

- خلاصة هذه القاعدة : خلاصة هذه القاعدة أن كل ما عبد من دون الله أو نقول أن عبادة أي شيء من دون الله - عز وجل - هي شرك وكفر سواء كانت للملائكة والأنبياء والصالحين أو كانت للشجر والحجر أو الشمس والقمر أو أي شيء كان

- لمـــــاذا ؟

- لأن بعض الناس يقول : العبادة الشركية هي عبادة الأصنام ، هي عبادة الشمس والقمر ، وأما دعاء الأولياء ومحبتهم وإعطاؤهم بعض الصفات وصرف بعض أنوع العبادات لهم هذه لا تسمى شركا لأن الشرك لا يكون إلا للحجر والصنم والشجر ويعني الشمس والقمر .

أما عبادة أو الأولياء أو الأنبياء أو الملائكة ودعاؤهم فهذه ليست عبادة وليست شركًا .

فبيَّن الشيخ -رحمه الله تعالى - بهذه القاعدة أن صرف أي نوع من أنواع

العبادة لغير الله هي شرك سواء كان عبدًا صالحًا أو ملكًا أو رسولًا أو حجرًا أو شجرًا أو قمرًا إلى آخره .

- إذًا ما الدليـــــل ؟

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - قاتل جميع هؤلاء ، فهناك من كان من يعبد رجالًا صالحين كاللَّات وهناك من كان يعبد عيسى

كالنصارى وهناك من كان يعبد الشمس والقمر والحجر فقاتلهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يفرق بينهم في ذلك ، لأنهم كلهم صرفوا أنوعا من العبادة لغير الله فهم مشركون كفار .
لذلك المصنف - رحمه الله تعالى - الإمام محمد بن عبد الوهاب بيَّن لنا بهذه القاعدة أن كل هذه المسميات إذا صرفت العبادة لهم فهي من باب الشرك واتخاذ الأنداد من دون الله - عز وجل - .

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾(7)

- الدليل على مـــــاذا ؟
- الدليل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قاتلهم جميعًا .
- أين وجه الاستدلال ؟
- وجه الاستدلال العموم في قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ ﴾ لما ذكر المشركين قال وقاتلوهم لم يقل مثلًا قاتلوا عباد الأصنام قاتلوا عباد الشمس والقمر وإنما ذكر المشركين ثم قال وقاتلوهم فدلَّ هذا على :
أن الله - عز وجل - أمر نبينا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - وأمرنا معه - صلى الله عليه وسلم - أن نقاتل جميع المشركين على جميع أحوالهم وأصنافهم فلا يُفرَّق بين من كان يعبد حجرًا أو كان يعبد وليًّا صالحًا أو نبيًّا مرسلًا أو ملكًا مقربًا ، فكلهم مشركون لأنهم صرفوا العبادة لغير الله - عز وجل - .
فقوله ﴿ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ ؛ أي حتى لا يكون شرك ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾ يعني تكون العبادة خالصة لله - عز وجل - وبهذا قال جماعة من المفسرين قالوا : ﴿ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ ؛ أي حتى لا يكون

(7) [الأنفال: 39]7

شرك فالله - عز وجل - أمرنا بذلك حتى لا يكون شرك بالله - عز وجل - وحتى يُعبد – سبحانه و تعالى - وحده لاشريك له .

قال الشيخ -رحمه الله تعالى- وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[8]

فهذه الآية دالة على أن هناك من كان يسجد للشمس والقمر وأن الله - عز وجل- نهى عن السجود للشمس والقمر وأمر بالسجود له لأنه - سبحانه وتعالى - هو المستحق لهذا السجود لذلك قال : ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

فهذا السجود عبادة ولا ينبغي أن يكون إلا لله - عز وجل -، ولذلك نُهِيَ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها .

- لمـــــاذا ؟

- لأن الشيطان يرقب الشمس بمعنى يتحين ويراقب الشمس ، حتى إذا كانت عند غروبها أو عند طلوعها فإنه يجعلها بين قرنيه .

ولذلك نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، إرغامًا للشيطان وإبعادًا وحمايةً للتوحيد .

وهذا كما ذكر العلماء النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لغير سبب ، أما لو كانت لذات سبب كتحية المسجد أو صلاة جنازة أو نحو ذلك أو صلاة فائتة فإن المسلم يصلي لله - عز وجل - ولكن أن يقوم المسلم ويتطوع تطوعًا مطلقًا عند طلوع الشمس أو عند غروبها فإنه منهي عن ذلك ؛ لأن الشيطان -كما سبق -كما جاء في الدليل يرقب

---

8) [فصلت: 37]

ذاك الوقت فيقف فتكون الشمس أو القمر بين قرنيه والنبي - صلى الله عليه وسلم - قال : تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا .

قال الشيخ -رحمه الله تعالى - : وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً ﴾(9) ؛ أي معبودون من دون الله - عز وجل - فلا تعبد الملائكة من دون الله – عز وجل - ﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً ﴾ يقول الله - عز وجل - : ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾(10) فلو اتخذ أحد الملائكة أربابًا فقد كفر ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ فالأنبياء والرسل منزهون عن ذلك - صلوات ربي وسلامه عليهم - فهذا دليل على أن هناك من اتخذ الملائكة أربابًا من دون الله .

قال : ﴿ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً ﴾ أيضًا ،كذلك النبيين ولكن أفردهم الشيخ - رحمه الله تعالى - في الدليل التالي حيث قال :

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (11).

هذه الآية أيضًا دالة على أن هناك من يعبد الأنبياء وأن من عبد الأنبياء فقد أشرك بالله - عز وجل - فيوم القيامة يقول الله - عز وجل - لعيسى - عليه الصلاة والسلام – ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ هذا السؤال ليس من

---

(9) [سورة البقرة]
(10) سورة أل عمران (80)
(11) سورة المائدة (116)

باب طلب الجواب ولكن هذا من باب توبيخ المشركين والإنكار عليهم يعني لا حجة لكم في عبادة عيسى أو عبادة مريم أو عبادة أحدٍ من دون الله - عز وجل - فعيسى - عليه الصلاة والسلام - لم يقل للناس اعبدونِ واعبدوا أمي واتخذون إلهين من دون الله ، قال عيسى ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ ؛ أي أنزهك يا ألله فأنت الخالق المستحق للعبادة ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ؛ ليس لي أن أدعو الناس لعبادة غيرك فهذا ليس لي ، ثم قال : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ ؛ يعني يا رب إن هذا الأمر لا يخفى عليك فأنت علّام الغيوب

قال العلماء وفي الآية إثبات صفة النفس لله - عز وجل - كما في قوله - عز وجل – ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾﴿٣٠﴾[12] فنحن نؤمن بأن لله - عز وجل - نفسًا تليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾﴿١١﴾[13] ؛ فإذًا هذا دليل الأنبياء .

ثم قال الشيخ -رحمه الله - دَلِيلُ الصَّالِحِينَ ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾[14] معنى هذه الآية : أن الأولياء والأنبياء والصالحين الذين يدعونهم المشركون من دون الله هؤلاء الأنبياء والصالحون والأولياء هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة يرغبون ويطلبون إلى الله الوسيلة والقربة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه هؤلاء الأنبياء والرسل والصالحون والأولياء ؛ فإذا كان هؤلاء الأنبياء والرسل والصالحون إذا كان هؤلاء هم أنفسهم يعبدون الله ولا

([12]) سورة آل عمران (30)
([13]) سورة الشورى (11)
([14]) سورة الإسراء (57)

يشركون به فكيف تشركونهم بالله - عز وجل -
فالله - عز وجل - يقول للمشركين الذين تدعونهم من دون الله يدعون الله وحده لاشريك له .
- فلماذا لا تكونون مثلهم فتدعون الله وحده لاشريك له ؟
- ولو كان هؤلاء المدعوون من دون الله من الصالحين ونحوهم لو كان بيدهم شيء لنفعوا أنفسهم في قبورهم ولكن ليس بيدهم شيء وقد انقطع عملهم بموتهم ، انقطع عمل الصالحين بموتهم إلا من ثلاث كما في الحديث ؛ فإذًا هؤلاء يعبدون الله ويبتغون إليه الوسيلة ويرجون القربة إليه - سبحانه وتعالى - ويرجون رحمته ويخافون عذابه .

ثم قال : وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿19﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾[13]
قال ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ ﴾ .
اللَّات : قالوا رجل صالح بالطائف كان يلُتُّ السويق للحجاج ، فعُبد من دون الله – عز وجل- لما مات
والعزَّى : شجرة كانت تحل بها جنية تكلم الناس وكانوا يطوفون حولها ويذبحون لها ؛ وهي التي قال فيها بعض المشركين حينها : " والعزى لنا ولا عُزة لكم " فرد عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمر الصحابة أن يقولوا : " الله مولانا ولا مولى لكم "وكان ممن قال ذلك أبو سفيان حال كونه مع المشركين ثم أسلم - رضي الله عنه وأرضاه - بعد ذلك .

وأما مناة : فكانت بين مكة والمدينة وكانت خزاعة وبعض القبائل يعظمونها ويُهِلُّون منها للحج ويعبدونها من دون الله - عز وجل -

---

13[النجم: 19، 20]

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ وَمَنَاةَ صخرة ، اللات رجل صالح والعزى شجرة كانت بها جنية ومناة صخرة كانوا يهلون منها ويريقون عندها الدماء تركًا بها .

فدلت هذه الآية على أن هذا الأمر وقع وأن هناك من يدعو الأحجار والأشجار وأنه شرك وكفر بالله .

قال : وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ[14]

مراد الشيخ - رحمه الله تعالى - بهذا الحديث بيان حال المشركين الذين كانت لهم سدرة ؛ شجرة يعكفون عندها " ينطون بها أسلحتهم " ؛ يعلقون عليها أسلحتهم .

- لماذا يعلقون أسلحتهم ؟

– كان المشركون يعتقدون أن هذه السدرة " الشجرة " إذا علقوا عليها أسلحتهم ؛ انتصروا على عدوهم وقويت أسلحتهم واشتد أمرهم فعبدوا الأشجار من دون الله - عز وجل -

والصحابة - رضوان الله عليهم - كما وصفهم أبو واقد الليثي كانوا حدثاء عهد بكفر يعني أسلموا من قريب وهم " مسلمة الفتح " - رضي الله عنهم وأرضاهم - ولم يطلبوا هذا الأمر من النبي - صلى

14رواه الإمام أحمد21390، والترمذي 2180 ، وقال: حسن صحيح، وابن أبي عاصم في السنة، وقال المناوي: إسناده صحيح، وصححه الألباني في رياض الجنة رقم 76

الله عليه و سلم - من باب عبادة أو التعلق بغير الله - عز وجل - وإنما وقع هذا منهم كما بين أهل العلم وكما في قول أبي واقد -رضي الله عنه - أنهم كانوا حدثاء عهد بإسلام ولا يجوز لمسلم أن يقول إن هؤلاء الصحابة قلوبهم معلقة بالشرك أو أن في قلوبهم شيء من الشرك ، أو أنهم أرادوا أن يتخذوها من دون الله كما بين ذلك أهل العلم فإن الصحابة منزهون عن ذلك ولا يجوز لمسلم أن يذكر الصحابة بسوء ولو على سبيل الاحتمال فإن الصحابة - رضوان الله عليهم - مبرؤون من ذلك .

ولذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أورد هذا لقوله في الرواية " وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ " فدل هذا على أنهم عبدوا الشجرة من دون الله - عز وجل - .

إذا القاعدة الثالثة كما سبق خلاصتها : أن صرف أي نوع من العبادة لغير الله هو شرك سواء كان ملكًا أو رسولًا أو صالحًا أو حجرًا أو شجرًا أو شمسًا أو قمرًا أو بقرًا كما عند الهندوس الذين يعبدون البقر من دون الله - عز وجل - نسأل الله السلامة والعافية ؛ فإذًا كل هذه صرفها لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة .